



فقه اللغة وسر العربية

كِتَابٌ يَهْتَمُّ بِظَوَاهِرِ اللُّغَةِ وَتَعْرِيفَاتِهَا وَتَعْلِيلَاتِهَا وَأَسْبَابِهَا

كِتَابُ «فِقْهُ اللُّغَةِ وَسِرِّ العَرَبِيَّةِ» مِنَ الكُتُبِ المِهْمَةِ فِي المَكْتَبَةِ العَرَبِيَّةِ لمؤلّفِهِ عَبدِ المَلِكِ بَنِ مُحَمَّدِ بَنِ إِسْمَاعِيلِ أَبِي مَنصُورِ الثَّعَالِبِيِّ (المُتَوَفَى 429هـ).

وَفِي الحَقِيقَةِ إِنَّ كِتَابَ «فِقْهُ اللُّغَةِ وَسِرِّ العَرَبِيَّةِ» كِتَابَانِ فِي مُصَنَّفٍ وَاحِدٍ؛ ذَلِكَ أَنَّ أبا الفَضْلِ المِكَالِيَّ طَلَبَ مِنَ الثَّعَالِبِيِّ أَنْ يُؤَلِّفَ لَهُ كِتَابًا فِي فِقْهِ اللُّغَةِ، وَهُوَ الَّذِي سَمَّاهُ بِذَلِكَ، وَرَسَمَ حُدُودَهُ، فَسَارَعَ الثَّعَالِبِيُّ إِلَى تَأْلِيفِهِ، ثُمَّ شَفَعَهُ بِكِتَابٍ آخَرَ سَمَّاهُ «سِرِّ العَرَبِيَّةِ»، فَصَارَا كَالكِتَابِ الوَاحِدِ.

أَمَّا «فِقْهُ اللُّغَةِ» فَيُضَمُّ 31 بَابًا، جَمَعَ فِي كُلِّ بَابٍ مُفْرَدَاتٍ لِعَوِيَّةٍ لِمَعْنَى مُعَيَّنٍ، تَدُلُّ عَلَى أَجْزَائِهِ أَوْ أَقْسَامِهِ أَوْ أَطْوَارِهِ أَوْ أَحْوَالِهِ، وَجَمَعَ الفُصُولَ المُتَقَارِبَةَ فِي المَعْنَى فِي بَابٍ وَاحِدٍ. وَقَدْ

يَكْتُبُ فَضْلًا فِي بَابٍ وَيُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ كَانَ يَجِبُ أَنْ يَكْتُبَهُ فِي بَابٍ سَابِقٍ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ أَنْسَاهُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَتَفَرَّغْ لِإِعَادَةِ بِنَاءِ هَذَا الكِتَابِ كَعَادَتِهِ فِي كُتُبِهِ. وَأَمَّا «سِرِّ العَرَبِيَّةِ» فَهُوَ فُصُولٌ غَيْرٌ مُبَوَّبَةٌ، تَتَوَلَّى فِيهَا مَسَائِلُ فِي اللُّغَةِ وَعُلُومِهَا، وَنَقَلَ مُعْظَمَ بَحْثِهِ فِيهَا عَنِ كِتَابِ «فِقْهُ اللُّغَةِ» لِابْنِ فَارِسٍ. وَكِتَابُ «فِقْهُ اللُّغَةِ وَسِرِّ العَرَبِيَّةِ» يَهْتَمُّ بِظَوَاهِرِ اللُّغَةِ وَتَعْرِيفَاتِهَا وَتَعْلِيلَاتِهَا وَأَسْبَابِهَا، فَبَدَأَ المَصْنُفُ الجِزءَ الأوَّلَ الخَاصَّ بِفِقْهِ اللُّغَةِ بِمُقَدِّمَةٍ عَنِ فَضْلِ العَرَبِيَّةِ وَسَبَبِ تَأْلِيفِ الكِتَابِ، ثُمَّ بَكَلِمَاتٍ تَحْتَ كُلِّ مَوْضُوعٍ تُعَبِّرُ عَنْهُ مَعَ بَيَانِ المَعْنَى الدَّقِيقِ لِكُلِّ كَلِمَةٍ. ثُمَّ يَأْتِي الجِزءُ الثَّانِي وَهُوَ أَصْغَرُ مِنَ الجِزءِ الأوَّلِ وَاسْمُهُ «سِرِّ العَرَبِيَّةِ»، وَيَتَنَاوَلُ بَعْضَ

أَسَالِبِ اللُّغَةِ بِإِيحَازٍ، فَيُورِدُ التَّعْرِيفَ ثُمَّ يَذْكَرُ شَاهِدًا عَلَيْهِ. وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الكِتَابَ مُعْجَمٌ مَوْضُوعِيٌّ مُفِيدٌ جَدًّا يُثْرِي لُغَةَ المَطَّلِعِ. إِنَّ مِفْتَاحَ تَحْدِيدِ هَذَا المِصْطَلَحِ (فِقْهُ اللُّغَةِ) هُوَ الجِذْرُ

اللُّغَوِيُّ (ف ق هـ) الَّذِي يَدُلُّ عَامَّةً عَلَى العِلْمِ بِالسُّنِّيِّ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الشَّقِّ وَالفَتْحِ، فَيَكُونُ «فِقْهُ اللُّغَةِ» مِنْ هَذَا المِنْطَلَقِ عِلْمَ اللُّغَةِ وَالعُوصِ فِي دَقَائِقِهَا وَعُوقَامِضِهَا، وَهُوَ مَا أَكَّدهُ عُنْوَانُ الكِتَابِ بِقِسْمِيهِ.



اسْتَطَاعَ الثَّعَالِبِيُّ بِهَذَا المَوْءَفِ أَنْ يَنْفِذَ إِلَى لُبِّ اللُّغَةِ وَلَطَائِفِهَا مِنْ غَيْرِ عَنَتٍ أَوْ تَعْقِيدٍ

وَلَطَائِفِهَا مِنْ غَيْرِ عَنَتٍ أَوْ تَعْقِيدٍ، أَوْ تَنْظِيرٍ مُنْفَرِّدٍ يَسْتَحْذُ عَلَى القَوَاعِدِ وَالقِيُودِ دُونَ الجَوَاهِرِ، كَمَا هِيَ الحَالُ فِي بَعْضِ مَسَائِلِ النَّحْوِ وَمَدَارِسِهِ وَقَوَاعِدِهِ وَعِلَلِهِ. غَاصَ أَبُو مَنصُورٍ فِي مَعَانِي اللُّغَةِ وَأَدَابِهَا وَأَسَالِبِهَا، فَاجْتَنَى مِنْهَا الدَّرَرَ الغَوَالِيَّ وَخَاضَ فِي تَقْلِيبَاتِهَا وَتَصْرِيْفَاتِهَا، وَأَبْحَرَ فِي أَدِيمِ أَسْمَائِهَا وَأَوْصَافِهَا، وَدَقَائِقِ

وَمَا تُورِثُهُمِ البَيَانِيَّ، وَخُصُوصِيَّاتِ البِنَاءِ وَالصِّيَاغَةِ وَالأَشْتِقَاقِ، وَسَائِرِ مَعْهُودِهِمْ فِي اسْتِخْدَامِ اللُّغَةِ أَدَاءً رَاقِيَةً مُنْظُورَةً لِحَمْلِ أَرْقَى الرِّسَالَاتِ الإِنْسَانِيَّةِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا. وَالأَشْيَاءِ وَمَعَالِمِهَا، فَبَلَغَ التُّخُومَ وَالنَّهَائِيَّاتِ، تُخُومَ الإِعْجَازِ، وَنَهَائِيَّاتِ البَلَاغَةِ التَّعْبِيرِيَّةِ الرِّصِينَةِ الَّتِي يُقْبَلُ عَلَيْهَا البَاحِثُ، وَالأَدِيبُ، وَالعَالِمُ، وَالفَنَّانُ، فَيَجِدُ كُلَّ مِنْهُمُ ضَالَّتَهُ وَبُعَيْتَهُ.